صفحة تصدر بالتعاون مع الجمعية النفسية العراقية
iraqipa@hotmail.com

في دراسة مقارنة بين عامي ٢٠٠١ و ٢٠٠٦

كيف تغير مفهوم (الاعتقاد بالعدالة) لدى طلبة الجامعة العراقيين؟

لؤي خزعل جبر

(العدالة) حلم طالما راود البشرية، إلا أنها قلما لامسته على ارض الواقع، فما بين (جمهورية أفلاطون) و (مدينة الفارابي الفاضلة) اختزن كم هائل من التراث الفكري (الإلهي الديني) و(البشري الدنيوي) عززته التنظيرات الفلسفية والسوسيولوجية والسياسية المتنوعة المعاصرة، إذ تأصل هذا المفهوم بوصفه جوهر الحياة الإنسانية في عمقها الممتد عبر المجالات المختلفة، فلا يوجد معنى ولا يبنى مجتمع إنساني من دون أن يتمحور بكل مكوناته ومؤسساته عليه.

وبالرغم من هذا التأصيل، عاشت البشرية عبر العصور، حالة الظلم والألم والحرمان والقهر والبؤس، فكان التأريخ مسرحاً لممارسة سلب الحق، وتهميش الجمهور، وملاحقة كل مفكر متمرد على هذا الواقع، ومحاولة استيعاب كل حركة تحررية، إلا أن كل هذه الممارسات لم تستطع انتزاع مفهوم العدالة من أذهان الناس وقلوبهم، وتشوقهم الدائم للالتقاء به.

فبين (أصالة) المفهوم ومفارقة (غيابه) ولدت حاجة نفسية للتوليف بين هذين القطبين، رصدها عالم النفس (ميلفن ليرنر) Lerner، في ستينات القرن الماضي،وفي سياق محاولته الإجابة على السؤال الآتي: (كيف يمكن ان نفسر هذه اللامبالاة الواسعة نحو المعاناة والحرمان المزمنين في عالمنا؟)، إذ أكد أن للأفراد حاجة للاعتقاد بأنهم يعيشون في عالم يحصل فيه الإنسان على ما يستحقه، فمن اجل حماية أمنهم النفسي وقدرتهم على التخطيط للمستقبل، يحتاج الناس الى هذا الاعتقاد، ولاسيما على صعيد عالمهم الشخصي، أو البيئة التي يعيشون فيها، إذ لا يجدون في المظالم التي تقع في بيئات أخرى تهديداً لهم لأنها ذات صلة ضعيفة بمصيرهم الشخصي، ولكن كلما اقتربت الحوادث من عالمهم أكثر، يتزايد اهتمامهم بالمظالم الى حد كبير وتزداد حاجتهم لتفسيرها.

وقد وصف Lerner هذا الاعتقاد بأنه (وهم أساسي)، فهو (أساسي) لأنه ضروري لتوفير الأمن النفسي للفرد، وهو (وهم) لأنه عبارة عن اعتقادات خاطئة.

فالإنسان إزاء الواقع اللاعادل يجابه بخيارين: (الأول) هوالتمسك بالعدالة مع الخضوع لضغط الواقع، مما يؤدي به إلى أن يمارس تحريفاً وتشويهاً على رؤيته لهذا الواقع من خلال إسباغ صفة العدالة على الظلم، اذ لا يقول –مثلاً- بان الدولة تضطهد المواطن بل يقول بان المواطن يستحق ما وقع عليه من قبل الدولة، وذلك بهدف التكيف مع الواقع وتحقيق شيء من الاستقرار النفسي؛ و (الثاني)، هو التمسك بالعدالة ومقاومة ضغط الواقع، من خلال الإقرار بوجود الظلم وتشخيص مفرداته، وهو خيار يدفع بالفرد الى ان يثور ويتمرد على هذا الواقع ويسعى جاهداً الى تغييره، الا انه قد يترافق مع الاهتزاز النفسي والقلق والإحباط.

ومن هذا نلحظ ان كل خيار ينطوي على جانبين: سلبي و ايجابي، فالأول يوفر الأمان النفسي لكنه يضمن اللامبالاة إزاء الظلم، والثاني يتضمن التوتر النفسي ولكنه يوفر الإحساس بالظلم وضرورة تغييره، وهذا ما خلق من هذه القضية أمراً جدالياً يتعلق بمدى السلبية والايجابية التي تختزنها.

وفي حل هذه الجدلية، يرى احد الباحثين ان مدى الايجابية والسلبية يتحدد بالنتائج النفسية –الاجتماعية المترتبة على هذا الاعتقاد خلال حقبة تاريخية معينة بالنسبة لاي مجتمع، فإذا كان ناجماً عن رغبة الناس غير العقلانية في تبرير الظلم تجنباً لمواجهته بحيث يصبح موقفهم هذا باعثاً على اقتراف المزيد من الانتهاكات تجاههم وسبباً لتعطيل جهودهم لإصلاح حياتهم ومبرراً لحفظ بقائهم البيولوجي فقط، يعد عندئذ عزواً دفاعياً سلبياً، ومعطلاً لتطور المجتمع ورفاهه في المدين القريب والبعيد؛ وأما إذا كان (عزواً دفاعياً وقائياً) محددا يتضمن إسباغ الأفراد للعدالة على الظلم في احد مجالات حياتهم سعيا لمواجهة عقلانية مع مظالم اشد يقرون بوجودها في مجالات أخرى، عندها يمكن ان يوصف بأنه أسلوب تكيفي فعال لمواجهة الضغوط المتنوعة للحياة.

وقد وجدت جملة من الدراسات علاقة (ايجابية) بين (الاعتقاد بعدالة العالم) من جهة، و(قبول المؤسسات الاجتماعية والسياسية القائمة) و(تفضيل الاحزاب السياسية اليمينية) و(التمسك بالقيم التقليدية) و(المحافظة) و(التسلطية) و (الدوغماتية) من جهة أخرى. ووجدت دراسات أخرى علاقة (سلبية) بينه من جهة وبين (درجة انخراط الناس في النشاطات السياسية والاجتماعية) و (المبادرات الثورية)، و(اعتناق الفلسفة اليسارية)، و(الاعتقاد بفساد الحكام) و (مناصرة قضايا المرأة) من جهة أخرى.

ونظراً لخصوصية الواقع العراقي شكلت دراسة هذا الموضوع لدى أفراده مطلباً ضرورياً، وهو ما تحقق في دراسة واسعة أنجزها الباحث (فارس كمال عمر نظمي) في العام ٢٠٠١، جاءت لتسد فراغاً على الصعيد الأكاديمي العراقي والعربي، وفي مرحلة تاريخية حرجة من حياة المجتمع العراقي، اذ أشار الباحث إلى انه تلمس بوضوح ان هناك نزعة لدى بعض الأفراد من فئات اجتماعية (متضررة) لتبرير المحن، من خلال رفعها لشعار (إن الناس في العراق يستحقون عموماً ما حل بهم من نكبات بوضعها عقاباً على ما ارتكبوه هم أو إباؤهم أو أجدادهم من آثام)، الأمر الذي يطبع هذا الاعتقاد لديهم بالطابع السلبي، إذ يكون عزواً دفاعياً سلبياً معطلاً.

وفي دراسة (نظمي) هذه، تم تطوير مقياس (متعدد الأبعاد) لقياس الاعتقاد بعدالة العالم، وفق رؤية مفادها ان هناك ثلاثة عوالم:

❖العالم الشخصي: الاعتقاد بعدالته يعني ان الفرد يحصل على ما يستحقه في حياته الشخصية.

❖عالم العلاقات المتبادلة: الاعتقاد بعدالته يعني ان الناس يحصلون على ما يستحقونه من بعضهم ضمن علاقاتهم المتبادلة في جماعات صغيرة او كبيرة.

❖ العالم الاجتماعي –السياسي: الاعتقاد بعدالته يعني ان الفرد يعتقد ان المؤسسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وما يجري في العالم من إحداث يتيح للناس إمكانية الحصول على ما يستحقونه.

ويمكن أن يكتشف من خلال الإجابة على هذا المقياس، إحدى نتائج ثلاث، فإما أن يكون السائد هو الاعتقاد بـ (العدالة) بمعنى ان الفرد يرى أن كل فرد يحصل على ما يستحقه، أو الاعتقاد بـ (الظلم) بمعنى أن الفرد يرى ان كل فرد لا يحصل على ما يستحقه، أو الاعتقاد بـ (العشوائية)، والعشوائية تعني ان العالم –أي عالم –قد تكافأ فيه الأفعال الخيرة حيناً وتهمل أو تعاقب حيناً آخر، كما إن الأفعال الشريرة تمتلك فرصاً متساوية لكي تعاقب أو تهمل أو حتى تلاقي الاستحسان.

وقد تبين في دراسة (نظمي)، بعد تطبيق المقياس المشار إليه على عينة من طلبة الجامعة، أنهم:

❖ يعتقدون (بعدالة) العالم الشخصي.

❖ يعتقدون (بعشوائية) عالم العلاقات المتبادلة.

❖ يعتقدون (بظلم) العالم السياسي – الاجتماعي.

وإيماناً منا بأهمية هذا الموضوع، وجدنا ضرورة التعرف على ما سببته التغيرات الناجمة عن أحداث العام ٢٠٠٣م من تأثيرات في حياة المجتمع العراقي، وطبيعة اعتقادهم بعدالة عوالمهم الثلاثة، إذ أن الإشكالية الحالية تتمثل بتفاعل عنصرين، هما:

❖ قبل التغيير كان المجتمع يعيش حالة اختناق ولا عدالة مفرطة، وقد تبنى زعماء التغيير مفردة العدالة شعاراً للمرور من مرحلة الى أخرى، بهدف تطوير حياة المجتمع واقامة نظام ديمقراطي يؤسس للسلام والرفاهية.

❖ بعد التغيير، ترافق مع محاولات البناء بروز عوامل هدم متعددة، أبرز آثارها ما يواجهه الانسان العراقي من احتمالات الموت في كل لحظة، وأزمات الخدمات المزمنة التي تعصف باستقراره، والأزمات السياسية الواضحة المعالم.

فيكون السؤال: (هل أفرز التغيير تغييراً على صعيد اعتقاد الأفراد بالعدالة أم لا ؟). ولهذا سعينا في الدراسة الحالية لقياس الاعتقاد بالعدالة لدى عينة من طلبة الجامعة للتعرف على طبيعة هذا الاعتقاد، ومقارنته بالاعتقاد في العام ٢٠٠١م. وبعد التطبيق وإجراء المعالجات الإحصائية للبيانات، تبين ما يأتي :

❖ يعتقد الطلبة (بعدالة) عالمهم الشخصي.

❖ يعتقد الطلبة (بعشوائية) عالم العلاقات المتبادلة.

❖ يعتقد الطلبة (بعشوائية) العالم السياسي-الاجتماعي.

❖ الاعتقاد (بعدالة العالم الشخصي) في العام ٢٠٠٦ اقل مما كان عليه في العام ٢٠٠١,

❖ الاعتقاد بعشوائية(عالم العلاقات المتبادلة) لم يختلف عبر التاريخين.

❖ الاعتقاد(بظلم العالم السياسي-الاجتماعي) في العام ٢٠٠١ انخفض عما كان عليه ليصبح اعتقاداً (بالعشوائية) في العام ٢٠٠٦,

ومن خلال هذه النتائج يمكن الخروج بالآتي :

❖ استمر الاعتقاد (بعدالة) العالم الشخصي لدى طلبة الجامعة بالفاعلية عبر السنوات الخمس، وهو ما يدعم التأكيد النظري الذي ادرجه (ليرنر) Lerner والقائل بان الأفراد غالباً ما ينظرون الى محيطهم الشخصي على انه عادل، وذلك لخصوصية هذا المجتمع وتماسه المباشر مع مصيرهم الشخصي، وكون اللاعدالة المتخللة مفرداته تسبب لهم تهديداً اشد مما تسببه اللاعدالة في محيطات أخرى. إلا أن الأجواء المأساوية التي اقتحمت حياة الأفراد بعد التغيير دون ان يكون لهم يد في إيجادها، جعل هذا الاعتقاد بالعدالة ينخفض نسبياً.

❖ ثمة فوضى في العلاقات المتبادلة بين الأفراد يكشف عنها الاعتقاد بعشوائية هذا العالم، والذي استمر على نفس الوتيرة عبر الأعوام الخمسة، ولكون هذا العالم ابعد من العالم الشخصي، استطاع الأفراد ان يشخصوا بعض الظلم الواقع فيه.

❖ يمكن تفسير النتائج الخاصة بالعالم الاجتماعي-السياسي الذي اعتقد الطلبة بظلمه في العام ٢٠٠١م وبعشوائيته في العام ٢٠٠٦ بالقول، ان الأفراد في العام ٢٠٠١ استطاعوا تشخيص مفردات الظلم في هذا العالم نظرا لبروزها والاتفاق على طابعها السلبي، الا انه بعد التغيير الذي حصل في العام ٢٠٠٣ حصلت فوضى في المفاهيم والمفردات على صعيد هذا العالم، فبين خطابات التقدم والحرية وواقع الاهتزاز والاضطراب برز الاعتقاد (بعشوائية) هذا العالم في العام ٢٠٠٦ لدى الطلبة.

الذكاء العاطفي لدى الأطفال

د. مناك القاضي
أديبة وطبيبة نفسية مصرية

أصبح الذكاء العاطفي مؤخراً عنصراً أساسياً في تعريف الذكاء، فلم يعد الإنسان الذكي هو من يمتلك قدرات معرفية هائلة وحسب، فمثل هذه القدرات قد تتكهن بمدى نجاحه الأكاديمي لكنها ليست كافية لتحديد الاختيارات الأنسب له في كل لحظة وعند كل مفترق، ولا تضمن له نجاحاً في الحياة العملية. وربما كان هذا هو السبب في إعادة النظر في مفهوم الذكاء، فهناك أسئلة كثيرة لا نجد لها أجابة مثل، لماذا لا يحقق أشخاص ذوو قدرات معرفية كبيرة نجاحاً يذكر في الحياة، بينما تمكن آخرون أقل في قدراتهم المعرفية من تحقيق نجاحات باهرة؟!

لا بد أن هناك عنصراً رئيسياً كان يتم تجاهله في تعريف الذكاء، وهو الذي نطلق عليه الآن (الذكاء العاطفي) Emotional Intelligence.

فهل خطر ببالك أن تهتم بتنمية ذكاء طفلك العاطفي بنفس القدر الذي تحثه به على متابعة دروسه والمذاكرة الجادة ؟

قد نختلف فيما نحدده من أهداف في الحياة، فبعضنا يريد الصداقة والحب والانتماء لفكرة، وآخرون يلهثون وراء السلطة والمال والمركز المرموق. كل هذه الطموحات على اختلافها وتباينها متصلة بالعاطفة، ولم يعد الذكاء المعرفي وحده كافياً لتحقيق أي منها. فالعلم يتعقد كل لحظة، والمشكلات المعاصرة تعتمد حلولها على طريقة تفاعلنا مع الآخرين ومدى فهمنا لأنفسنا، لا على كم المعلومات التي نتمكن من حشو رؤوسنا بها.

ولكن مم يتكون الذكاء العاطفي؟ وكيف تساعد طفلك على اكتساب مهاراته المختلفة؟

يعتمد الذكاء العاطفي على خمسة محاور رئيسة يمكن البدء في تنميتها منذ مرحلة الطفولة المبكرة، كما يأتي:

❖ الوعي بالذات والآخرين، بأن يدرك الصغير طبيعة مشاعره وأثر تصرفاته على مشاعر الآخرين.

❖ تعليم الطفل التحكم في المشاعر السلبية التي قد يعاني منها، مثل الإحباط والقلق والعنف والغضب والاندفاع.

❖ حفز الذات، وذلك بمساعدة الطفل منذ سنواته الأولى على وضع أهداف من خلال اللعب، ثم من خلال وقائع حياته بعد ذلك، وتشجيعه على تحقيقها حتى مع وجود عقبات، وغرز روح التفاؤل والأمل لديه.

❖ التعاطف مع الآخرين، إذ يجب أن ننمي لدى الصغير القدرة على فهم مشكلة الآخر وتفهم دوافعه وردود أفعاله وإظهار التعاطف له.

❖ تنمية القدرة لديه على مد جسور الصداقة مع الآخرين والتعاون معهم وإذابة الصراعات التي قد تنتج من أية علاقة.

المشكلة كما قال (أرسطو) ليست في المشاعر ولكن في توقيت وطريقة التعبير عنها. إن تعلمنا الذكاء العاطفي يبدأ منذ الطفولة، فالدوائر العصبية المختصة بالانفعالات تصقل من خلال التجربة طوال طفولتنا، فإذا ما وجد الطفل الإهمال أو أسيئت معاملته فإن هذا يترك بصمته على الدوائر العصبية التي تتحكم في الانفعالات، بينما الطفل الذي ينشأ بين أبوين لديهما القدرة على فهم المشاعر المختلفة وإظهار التعاطف لأطفالهم، فهو أكثر تحكماً في انفعالاته ولديه مهارات اجتماعية عالية، كما أنه أكثر قدرة على الانتباه والتعلم وقليل الاستثارة. كما وجد أن الحياة العاطفية الذكية تنعكس بشكل إيجابي على بيولوجية الأطفال، ومن ثم يفرزون نسبة أقل من هورمونات الانفعال التي قد تؤثر بشكل سلبي على مراكز التعلم.

ولكن هل هناك أمل لغير الأذكياء عاطفياً؟

المدهش في الذكاء العاطفي أنه قابل للنمو وذلك خلاف الذكاء المعرفي الذي يصل إلى أعلى معدل له في الثامنة عشرة. فالشخص الذي يحرز درجات محدودة فيما يتعلق بالقدرة على التعاطف من الممكن ان يحرز درجات أعلى في المستقبل إذا ما حاول اكتساب مهارات تمكنه من الاهتمام أكثر بمشاعر الآخرين وتعلمه الإنصات لما يقولون.

وهنا يأتي تساؤل: هل يمكننا تعلم العاطفة وكيف ننمي ذكاء الصغار العاطفي ؟

نستطيع أن نفعل ذلك من خلال علوم الذات، وهي منهج ووسيلة لتعليم المهارات الاجتماعية والعاطفية للأطفال، كما انها تدمج النمو المعرفي بالنمو العاطفي وتمكن الطفل من التعامل مع المواقف المعقدة التي من الممكن أن تواجهه في الحياة. وتعد خبرات التلاميذ واهتماماتهم وأسئلتهم محور علوم الذات، فبدلاً من توجيه الطفل بقول ((افعل هذا ولا تفعل ذلك))، تعطيهم عدة اختيارات تجعلهم أكثر وعياً بقدراتهم وتمكنهم من اختيار قرارات مسؤولة وتعلمهم الاستقلال والتعاون. كما أنها تناقش مسائل عديدة هامة للصحة النفسية للطفل مثل العنف والنبذ والاكتئاب والتأخر الدراسي.

وتفترض علوم الذات ما يأتي:

❖ لايوجد تفكير بلا مشاعر ولا مشاعر بلا تفكير.

❖ كلما كان الطفل أكثر وعياً بذاته كان رد فعله إيجابياً تجاه المواقف المختلفة.

❖ كلما أدرك الطفل طبيعة التجارب التي يمر بها كان أكثر قدرة على التعلم .

ويعد التحدي الكبير الذي يواجه علوم الذات هو كيف يتعلم الطفل اختيار اللغة المناسبة للتعبير عن مشاعره وأفكاره؟ وبعد ذلك يمكن مناقشة البدائل المختلفة لسلوكه وردود أفعاله وذلك بإلقاء الضوء على التبعات الإيجابية والسلبية لكل تصرف، وتشجيعه على تبني وتجريب السلوك الإيجابي، ومن ثم يتمكن الصغير من السيطرة على اندفاعاته وتزداد لديه روح التعاون بينه وبين أقرانه .

وقد أدى تطبيق منهج علوم الذات في بعض المدارس الغربية الى إحراز نجاحات بين التلاميذ المستفيدين منه، فوجدت زيادة في كل النواحي الآتية:

❖ إدراك أهمية الذكاء العاطفي.

❖ الوعي بمهارات القيادة.

❖ محو الأمية العاطفية.

❖ التفاؤل.

❖ الثقة بالنفس.

❖ القدرة على التحكم بالمشاعر السلبية.

❖ زيادة المهارات الاجتماعية.

❖ تقبل الذات.

إن تضمين المناهج التعليمية لعلوم الذات هو بمثابة إنقاذ للعديد من الصغار ذوى الذكاء العاطفي المحدود، وكذلك فإنه صمام أمان حيال المشاكل النفسية المختلفة التي قد يعانون منها.

وأخيراً، إذا كان النجاح لغز الحياة الأزلي فكيف تحله لصغيرك؟

أظن أن كلاً من الذكائين العاطفي والمعرفي يقدم جزءاً من الحل.

العلاج النفسي بالصدمة الكهربائية

يعني العلاج بالصدمة (Electro Convulsive Therapy ECT) توجيه تيار كهربائي إلى رأس المريض ليحدث نوبات تشنجية مسيطر عليها، تخفف أو تلطف بعض الاضطرابات النفسية لديه.

ويعود اكتشاف هذا الاسلوب في العلاج إلى الثلاثينيات من القرن الماضي، إثر ملاحظة أن بعض المرضى المصابين بالفصام يظهر عليهم تحسن واضح في حالتهم العقلية إذا أصيبوا عرضاً بحالة صرعية، وإنه من النادر أن يحدث الفصام والصرع سوية. وأثارت هذه الملاحظة عدداً من البحوث في عدد من الدول بينها هنغاريا وإيطاليا، حيث قام طبيبان إيطاليان بتجارب لاستعمال التيار الكهربائي، فأحدثا في العام ١٩٣٨ حالة صرع في المرضى بأمرار تيار كهربائي في رأس المريض مباشرة. ولما تبين لهما جدواها أطلقا عليها في البدء (الرجة الكهربائية) Electroshock ثم تغير اسمها إلى: (الصدمة الكهربائية الصارعة) ECT اختصاراً. وشاع استعمالها في مستشفيات الأمراض العقلية والنفسية، إذ يبلغ عدد المرضى الذين يعالجون بهذه الطريقة بين خمسين ألف إلى مائة ألف في أميركا سنوياً. وتعد طريقة شائعة جداً في العلاج النفسي المعاصر، فيما يطالب آخرون بإيقافها لاعتبارات إنسانية.

ومنذ اكتشاف هذه الطريقة في العام ١٩٣٨ طُرحت العديد من النظريات البيولوجية والنفسية حول عمل هذه الصدمة والأثر الذي يحدثه التيار الكهربائي في المريض. غير أن البحوث لم تؤيد بشكل قاطع أية نظرية معينة. وما يعرف عنها هو أنها (تعمل)، وبشكل جيد في حالات المرضى المصابين بالكآبة العقلية.

وللعلاج بالصدمة آثاره الجانبية، أكثرها شيوعاً هو الاختلال الوظيفي الذي تحدثه في الذاكرة سواء بالقدرة على تعلم مواد جديدة، أو بالقدرة على تذكر معلومات كان قد تعلمها المريض قبل حصوله على الصدمة. غير أن الأبحاث تشير إلى أن غالبية المرضى الذين يتلقون الصدمة تتحسن قدرتهم تدريجياً بعد العلاج فيما يخص تعلم مواد أو معلومات جديدة، ولكنهم يظلون فاقدين لذاكرتهم القديمة (معلوماتهم قبل العلاج) لمدة أسبوع من تلقيهم للصدمة، ثم يتحسنون بشكل تام تقريباً في خلال سبعة اشهر من العلاج. وتشير أبحاث أخرى إلى انه يحدث في حالات كثيرة فقدان في الذاكرة، وبشكل خاص في الإحداث التي مر بها المريض قبل عام من دخوله المستشفى .

والملاحظة النبهة هنا هي أن احتمال تأثير الصدمة على الذاكرة يكون بأقل حالاته إذا جرى توجيه التيار الكهربائي إلى جانب واحد من الدماغ، الجانب الأيمن في الغالب، وليس إلى كلا جانبي الدماغ، ليكون تأثيره محدوداً بمركز اللغة في المخ.

وبسبب هذه المشكلات، ومشكلات أخرى تتعلق بعدم المعرفة اليقينية بما تحدثه الصدمة في الجهاز العصبي المركزي، فقد اصبح موضوع استعمالها مثار جدل. فالمدافعون عنها يرون أنها فعالة جداً اكثر من العقاقير المضادة للكآبة، وإنها أسرع منها في المفعول، وإن لها فائدة كبيرة جدا بالنسبة لأولئك الذين وصلوا حالة من الكآبة تهدد بالانتحار. فيما يقلل الموقف الآخر من فاعليتها.

وبشكل عام فأن استعمال الصدمة كوسيلة علاجية بدأ ينحسر في السنوات الأخيرة في أميركا وبريطانيا (ما تزال هذه الوسيلة شائعة الاستعمال في مستشفى الأمراض العقلية في الدول العربية). ويفضل المعالجون النفسيون المعاصرون استعمال أساليب أخرى بدلاً منها. فيما يرى آخرون أنه من غير الممكن أن لا تعطى للمرضى المصابين بالاكتئاب الحاد لأنها تمثل إنقاذاً لحياتهم، وإن أعراضها الجانبية قد اختفت الآن. ويدعون إلى أن نتوقف عن استعمال مصطلح الرجة أو الصدمة الكهربائية واستبداله بمصطلح (جلسات تنظيم أو مزامنة إيقاع الدماغ).

المحرر

الميول الأنثوية عند الرجال بين الرغبة والدفاع

د. أسعد الامارة

اذا اردنا ان نتوقف قليلاً عند بعض المظاهر السلوكية التي يمارسها الكثير من افراد المجتمعات الانسانية في ارجاء العالم المختلفة والتي ينظر اليها على وفق معيار الثقافة السائدة في ذاك المجتمع أو هذا، نجد من الضروري أن نتوقف عند ظاهرة التشبه بالإناث بوصفها ظاهرة منتشرة في المجتمعات المتحضرة والمتخلفة على حد سواء.

هذه الظاهرة هي غلبة الميول الانثوية لدى بعض الرجال، حتى باتت تظهر بشكل واضح في حركاتهم أو نبرات صوتهم وحديثهم أو ملابسهم أو حتى افعالهم المعلنة او المخفية. إنها نظرية الجنسية الثنائية في اقوى صورها، أي بمعنى ادق: ((مخ امرأة في جسم رجل))! وإذا كنا لا نعرف على اي أساس من البناء التشريحي يقوم هذا الميل، إلا أن الواقع يدلنا على حقائق دامغة بأن هؤلاء الرجال لا يختلفون عن الآخرين فزيولوجياً ولكنهم يختلفون عنهم سلوكياً ونفسياً. لذا تؤكد ادبيات علم النفس ان الشخص غير السوي عقلياً سواء كان ذلك من الناحية الاجتماعية أو الأخلاقية يكون دائماً غير سوي في حياته الجنسية كذلك.

ان الحياة باجمعها قائمة على اساس مبدأ اللذة والألم،هذا المبدأ الذي يرى أن ما يقوم به الانسان من افعال يحقق فيها ذاته يصاحبها الألم لكي يصل الى اللذة. ولا نتحدث هنا عن اللذة الجنسية فحسب، وانما كل ما يتم تحقيقه من أهداف، وعليه يقول علماء النفس ان كل سلوك يرجع في اصله الى حالة توتر مؤلم ويهدف الى الوصول الى خفض هذا التوتر مع تجنب الألم وتحصيل اللذة ان امكن تحصيلها. أما في موضوعنا هذا فنتحدث عن سيادة الانوثة في سلوك الذكور وافعالهم وحتى رغباتهم الجنسية. وقد اثبتت دراسات الاختبارات النفسية الفرعية في مقياس الشخصية المتعددة الاوجه ان الرجال ذوي الدرجات المرتفعة يكونون منحرفين جنسياً بصورة ظاهرة أو مكبوتة، وربطت الدراسة ذلك بوجود السمة العامة للاهتمام. وأكد مقياس الشخصية المتعددة الاوجه أيضاً على احتمال ان يكون هؤلاء الرجال جنسيين مثليين الى حد ما، كما يزداد الاحتمال في ان يكون لهم خبرة جنسية مثلية مباشرة.

يقول (سيجموند فرويد) ان تلك الميول ذات دافع غريزي جزئي مصدره الرغبة، يدخل اصلاً في تكوين الفعل الجنسي السوي (أي الاتصال الجنسي باحد افراد الجنس الآخر وما يصاحب ذلك من مقدمات)، ولكنه دافع استقل بذاته وحل محل الفعل الاصلي واصبح بذلك الوسيلة الوحيدة للاشباع الجنسي. ويقول الدكتور(علي كمال) أن معظم الباحثين يتفقون على ثلاثة امور، مهما كانت اسباب النشوء:

❖ أولها: عدم العثور على اسباب بايولوجية تفسر ذلك، فليس هنالك من ارتباط بين هذه الظاهرة وبين اي عامل وراثي او هرموني يمكن اثبات وجوده.

❖ ثانياً: ان هذه الظاهرة تبدأ جذورها عادة في تجارب الطفولة والمراهقة وتتطور بعد ذلك بفعل التعلم والتقليد.

❖ إن الغالبية العظمى ممن يمارسونها أو تستهويهم، هم من الذكور رغم وجود اقلية من الاناث في صورة أخرى(المرأة المسترجلة).

من المعروف علمياً ان التمييز القاطع بين سمات الذكورة والانوثة لا يتم الا في البلوغ، لا من حيث التشريح او التكوين، بل من حيث الرغبة واعلانها. وتتفاوت مديات هذه الرغبة بين الشدة والاعتدال والبرود، فنجد بعض الرجال يميلون الى الرغبة القوية في الممارسة والبعض الآخر تتسامى لديه هذه الرغبة حتى يحولها الى موضوعات نافعة يكتسب من خلالها مهارات جديدة، كما هو الحال عند الاناث ايضاً. وتؤكد لنا دراسات التحليل النفسي ان من اليسير التعرف على الاستعدادات الذكرية والانثوية في الطفولة، وإن أنواع الكف الجنسي(الحياء والاشمئزاز والشفقة..الخ) تنمو لدى صغار البنات قبل نموها لدى الذكور، كما انها تواجه لديهن مقاومة اقل، إل جانب أن ميلهن الى الكبت الجنسي أعظم على وجه العموم.

إن الميول الانثوية لدى الذكور في الواقع هي عدم التوافق بين ما يشعر به الفرد من هويته الجنسية وبين الواقع الفعلي(الجسمي) لهذه الهوية، إنه يرفضها رفضاً قاطعاً، فهو لا يظهر على صورة او درجة واحدة، بل هو مسار وسعي متواصل لا شعورياً ورغبة في التغيير، لذا يتسم بميل الى الألفة أو التشبه أو التمثل بالجنس الآخر مع اعترافه بأنه ينتمي الى الجنس الذي هو عليه. وقد يصل الامر في درجات التطرف العليا بالميل الانثوي لدى الذكور بانكار واقعه الجنسي الفعلي، عبر رغبة البعض غير المعلنة أو المعلنة الى تغيير جنسه الى الجنس الآخر. وكثيراً ما عرضت علينا شاشات التلفزيون أو الصحف اليومية والمجلات العلمية أن البعض نجح فعلا في تغيير جنسه بايولوجياً واصبح ينتمي الى الجنس الآخر، حتى عدت هذه الحالة هي الدرجة الاشد من اضطراب الهوية الجنسية.

إن محاكاة الرجال للاناث في طريقة التحدث والحركات والزينة والملبس هو في الحقيقة رغبة معلنة في رفض الهوية الجنسية التي هم عليها، فشعورهم بالانتماء الى الجنس المعاكس يعكس مدى مشاعرهم الداخلية، وهم بالوقت نفسه يصفون انفسهم بأنهم يملكون هوية جنسية مخالفة لمشاعرهم، وبأن هذه المشاعر محبوسة في جسدهم التشريحي، ويظل همهم المسيطر على حياتهم هو كيف يحولون هويتهم ويتخلصون من هذا التوتر.